



الوحدة

69

الملك
الملك

علاء الدين طعيمة

دار الدعوة

مغامرات مومن



مغامرات عجيبة جدا

- سلسلة مليئة بالإشارة والتشويق
- أغرب الرحلات والمفارقات
- تجمع بين المتعة والمعرفة
- لا غنى عنها في الرحلات والبيت والمواصلات

خان الدجوة

٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية

تليفاكس: ٣٩٠١٩١٤ - ٣٩٠٧٩٩٨ / ٣

مغامرات عجيبة جداً

جوهرة الجليد المستعر

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

رقم الإيداع القانوني: ٢١٩٨ / ٢٠٠٦ م

الترقيم الدولي: 3 - 386 - 253 - 977

تحذير

لا يجوز تحويل هذه المغامرات إلى عمل سينمائي
أو تليفزيوني أو إذاعي أو مسرحي أو شرائط
فيديو أو (C.D) إلا بالاتفاق والتعاقد مع الناشر.

دار النجوم للطبع والنشر والتوزيع

٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية

تليفون: ٢٩٠١٩١٤ - فاكس: ٥٩٠١٦٩٥

مغامرات مؤمن

جوهرة الجليد المستعر

تأليف:

علاء الدين طعيمة

رسوم

عبد الرحمن بكر

دار النجوم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مغامرات عجيبة جداً..

قمة الفرح أن يعثر الإنسان على تاج أثرى عتيق
خال من الجواهر، ولكن تكون قمة الإثارة والمتعة
عندما تتابع وتقرأ مغامرات ذلك البطل وهو يسعى
للعثور على جواهر هذا التاج، إنه يسافر في
رحلات عجيبة عبر البحار والأنهار، فيتعرض
للأخطار والأهوال ويرى نماذج غريبة من البشر
وعجائب من الإنس والجن والأحياء والأموات، وفي
كل مغامرة -بعد العناء والصراع مع المكان والزمان-
يفلح في إضافة جوهرة جديدة إلى التاج.

الجليد كما يعرف الجميع هو ماء تجمد بفعل خفض درجة حرارته إلى ما دون الصفر؛ حيث تتحول جزيئات الماء إلى بلورات لها أشكال مختلفة تلتصق ببعضها البعض منكمشة.. وتضيق المسافة بين الذرات فتتماسك.. وهكذا يتحول الماء السائل إلى جليد صلب.

يمكنك وضع إناء به ماء في مبرد المنزل «الفريزر»؛ حيث يتحول إلى جليد، لكن إذا تعرض لحرارة عالية عاد مرة أخرى إلى سائل دون أن يغير ذلك في تركيبه.. كان ماءً وعاد ماءً.

كلما ارتفعنا لأعلى كلما انخفضت درجة الحرارة، هناك حيث يتكثف بخار الماء متحولاً إلى سحب..

مغامرات محببة جداً

وكلما اقتربنا أفقياً من القطب الشمالى أو القطب الجنوبي للأرض كلما انخفضت درجة الحرارة.

هناك يتجمد ماء البحار والمحيطات والأنهار والبحيرات.. حتى يمكنك المشى فوق سطح بحيرة أو محيط دون أن تغرق.

خلق الله الأرض فى توازن بيئى عجيب... ويخشى العلماء أن تؤدي ممارسات الإنسان إلى رفع درجة حرارة الأرض بشكل يخل بالتوازن الطبيعى لهما... مما قد يتسبب فى إذابة جليد القطبين.

وأنت إذا ذهبت إلى الشاطئ يوماً ستجد الماء على حواف المدن الساحلية.. تسأل نفسك ماذا لو ازداد هذا الماء وزحف حتى دخل المدينة.

إذا انصهر جليد القطبين المتجمدين فأين يذهب الماء

السائل غير أن يملأ البحار والمحيطات بكميات هائلة لن تجد لها مكاناً سوى إغراق كل المدن الساحلية حول العالم.

كان هذا الأمر يؤرقنى كثيراً.. حتى رأيت فى نومى ذات ليلة أننى أقف فى شارع بورسعيد بالإسكندرية ورأيت البحر ينسكب على الشارع من فوق أسطح العمارات.. فقامت أحمد الله أنه مجرد حلم.

إذا أردت أن تتأكد مما سيحدث... أحضر إناء له حافة عريضة... املأ الإناء بالماء وضع ثلجاً على الحافة... سيسيل ماء الثلج بفعل الانصهار فيزيد من ملء الإناء حتى يفيض فيغرق المنضدة.

وهذه المخاوف حقيقية... إذ إن العلماء يتابعون الآن زيادة كبيرة فى منسوب الماء فى البحار... وإذا توفرت

مغامرات محيية جذا

لك خرائط لمنطقة ساحل دلتا مصر منذ مائة عام وقارنتها
بخرطة اليوم.. ستجد أن البحر التهم مساحة كبيرة من
اليابسة. وما زال مستمرًا.

وعند ذهابك إلى القطب الشمالى... ستجد
المحيطات متجمدة... وهناك ما يسمى بالمحيط المتجمد
الشمالى... وهناك ستجد جبالاً شاهقة لا تكون إلا من
الماء المتجمد... كما أن هذه الجبال لا تطفو فوق سطح
الماء.. بل إن قاعدتها التى تزيد مساحتها كلما انخفضنا
تغوص لمسافة هائلة فى القاع الذى قد يكون سائلاً بفعل
الحرارة الداخلية للأرض.

إذا قرأت من قبل مغامرة مؤمن «الصقيع المظلم»
ستعرف أكثر على هذه المناطق.. والعجيب أنه سيمر فى
مغامرتنا هذه بمنطقة قريبة منها... حيث كان فى الصقيع

المظلم يكافح من أجل صيد قطع من حيوان الكاريبو لسد دين رجل طيب وإنقاذه من الفقر... فما الذى سيكافح من أجله فى هذه المغامرة «الجليد المستعر»؟ هيا بنا...

بعد رحيله عن المدينة التى نكبت بالزلزال، ثم شارك فى تعميرها... عرف موقع الميناء الذى فى البدء بحث عنه ثم عرج عليه... وكانت وجهته التالية قبيل منطقة الاسكا.. حيث كل البلاد هناك يكسوها الجليد معظك أيام السنة... أحياناً يخبره التاج بأماكن مرهقة... ملابس ثقيلة أعطاهما له أهل المدينة قبيل الوداع لما عرفوا بوجهته... أخذ يسترجع الذكريات وهو فى السفينة التى كانت تكسر قشرة الثلج الخفيفة التى تغطى السطح المحيط بينما تهتم بالرسو على شاطئ بعيد لا يعمره سوى بعض صيادين الحيتان فى أكواخ متناثرة هنا وهناك.

مغامرات عجيبه جداً

هبط هو وحده من السفينة مع حمولة من الخضراوات أرسلت لقرية الصيادين. نال راحة فى هذه القرية البسيطة التى لم يجد فيها فندقاً أو مطعماً غير كشك من الخشب المهترئ يطل من نافذته عجوز متهدل الشاربين:

- هل أجد طعاماً لديك أشتريه من فضلك.

- شطيرة الجبن بالباذنجان المقلّى.

حمل الشطيرة الكبيرة بين يديه وأخذ يلوكها بنهم... فلم تقدم السفينة له طعاماً منذ الأمس لاقتراب رحيله عنها.

وها هو يأخذ القلم من يدى كعادته ليتحدث إلينا مباشرة.. هيا يا مؤمن:

- زيت الباذنجان يتساقط من الشطيرة الساخنة ويسقط

على الأرض، وفي أثناء رحلته الصغيرة هذه يتحول
إلى قطع متجمدة من الزيت... يا له من برد فظيع...
ماذا لو لم أعثر على هذه الشطيرة من الجبن الذى لا
يختلف كثيراً عن الجبن القديم «المش» الذى تحضره
أمى دائماً فى بلاص فخارى لا يفرغ أبداً.
رأيت ما يشبه المقهى... فسرت أجز حقيقتى جراً
على الجليد بيد وبالأخرى مازلت التهم الشطيرة
المحشوة بالجبن والبادنجان.

وصلت للمقهى... طلبت شرابى المشهور وهو
الشاي الساخن، وسألت النادل الذى لم يعجبه تواجدى
فى القرية، سألته عن بلدة تقع على بحيرة، فلم يجبنى
واكتفى بأن قدم لى الشاي ورمقنى بنظرة احتقار لم أعبا
لها غير ما يمتزج بها من ملامح شفقة بدت منه على.

شربت الشاي في وقت قياسي... فلو تلكأت لتحول
الكوب الساخن إلى قطعة من الثلج ... كل هؤلاء
الصيادين يصرون على تربية شواربهم حتى تسدل نحو
الشفة السفلى رغم أن أنفاسهم الدافئة تتحول إلى ثلج
لا يزول أبداً من تحت أنوفهم كأنهم اختاروا شوارب من
زجاج ويعجبهم ذلك.

لا ترى بخاراً سوى من براد الشاي ومن أفواه الناس
ومناخر الجياد. أما عدا ذلك فهو الثلج الذي لا يدع
منكبك أو رأسك أو حذاءك... وإذا استعملت
أصابعك في شيء فيمكن أن تتجمد، فنادراً ما ترى
الأيدي إلا وهي في الجيوب المحشوة بفراء المنك.

تحركت زاحفاً على الكرسي الطويل لأقترب من
جاري في المنضدة، سألته كما سألت النادل... لم

يحتقرنى كما فعل النادل الآخر.. بل رمقنى ساخرًا كأنه يشير إلى جنونى أو رعونتى، ثم قام بعد أن ألقى فى جوفه كوب الجمعة دفعة واحدة وهو يلقي برأسه للخلف، ثم انصرف يهز رأسه تعجبًا.

ماذا هناك... ماذا يوجد فى سؤالى عن القرية الواقعة على البحيرة... لابد أن هناك سوء تفاهم أو لبسًا. رأيت رجلًا جالسًا على الأرض أمام باب المقهى مستندًا بظهره إلى جدارها لا يعنيه شيئًا ولا يرد تحية القادمين إلا وهو لا يهتم بهم... خرجت إليه بعد أن وضعت ثمن الشاي على المنضدة:

- سيدى.. أين البلدة التى تقع على بحيرة فى هذا المكان.

قال كما توقعت دون أن ينظر إلى:

- هناك مدق يغطيه الثلج على يمين هذه الشجرة... فى
نهايته نجد البلدة.

شكرته ثم انصرفت وأنا أشعر بأنه أعارنى نظره
على غير عادته، ومع ذلك مضيت حتى وصلت إلى
الشجرة التى أشار إليها ثم أدركت المدق عن قرب..
لكن هل سأمشى أم على أن أستئجر زلاجة تجرها
الحياد... يا إلهى... نسيت أن أسأله عن المسافة... قد
يستغرق الأمر يوماً أو يزيد، ما يدرينى.

أردت أن أستدير لأبحث عن زلاجة أو أحد يدلنى
على بُعد البلدة التى أقصدها، فإذا بالرجل الذى
أجانبى يجرى نحوى متعثراً فى سمته الكبيرة وكرشه
المتدلى.

- يا ولدى... يا ولدى... أنت غريب؟



- نعم... نسيت أن أسألك عن المسافة.. كم نبعد عن تلك البلدة:

- اسمع... أنت لا تعرف شيئاً... لا تذهب إليها مهما جرى.

- سبحان الله... لماذا يا سيدي...؟ هل أريدت من الوجود.

- لا... موجودة... وبخير... لكن أطعني ولا تلق بنفسك إلى التهلكة.

- مستحيل... أنا آت من بلاد بعيدة عبر سفر طويل... يجب أن أكمل المشوار.

- ستلقى مصرعك هناك... طاوعني ولا تذهب.

- أخبرني... أخبرني بالله عليك... ما نوع الخطر الذي تخشى عليّ منه؟



- ليس عليك وحدك... بل على أى غريب يذهب
هناك... سيقطع عليك الطريق لا محالة...
وسيقتلوك... إنه لا رحمة لديه حتى مع الأطفال
والنساء.

- من هو الذى سيقطع على الطريق؟
- البطريق.

- البطريق؟... ما هذا... سمكة أم... أم ماذا؟

- قاطع طريق... رجل سفاك دماء لا يشبع منها أبداً...
يجلس عند المنفذ الوحيد للبلدة... ولأنه منها فهو لا
يمس أحداً من أهلها بسوء... لكن يا ويل الغريب
عنها إذا أراد دخولها... كما أنه يسطو على القوافل
والمارة بدون سبب، يأخذ ما معهم ثم يقتلهم مهما
توسلوا إليه... إنها طريق مرعبة... معذرة يا ولدى...

- معذرة يا بنى.. استجبت إلى سؤالك لأنى أحسست
بلهفتك وشدة رغبتك للذهاب لهذه القرية ولكنى أخشى
عليك مخاطر الطريق والرجل الذى يدعى البطريق.

- قلت فى نفسى بصوت مسموع:

- وما العمل الآن فى هذا الرجل؟

ظن أننى أتحدث عن قاطع الطريق فى حين أننى
كنت أقصده هو، فقال:

- لا عمل يمكن أن تعمله سوى.. إما أن تبقى هنا فى
سلام أو ترجع لبلادك بلا شر... لكن لا تذهب إلى
بلدة البحيرة أبداً.

لولا أن التاج أخبرنى أن مغامرتى هناك ما
ذهبت.. فالمرء يكون حكيماً إذا نأى بنفسه عن
الأخطار ولم يدع الشجاعة... مثل رجل رأى بئراً

ممتلئة بالحيات النائمة فألقى بنفسه إليها ليختبر
شجاعته فنهشت لحمه... لكن أن يكون في البئر ماء
الشرب ومصدر الحياة.. فعندئذ تختبر الشجاعة
بحق.

وبعد إلحاح شديد. أفصح الرجل لى عن كل ما أحجاجة
من معلومات عن القرية.

كان لا يشعر بنفسه... لذا فقد أفصح عن كل ما
أريده من معلومات..

ذهبت كى أستأجر زحافة وهى عبارة عن عربة
صغيرة تجرها الكلاب فوق سطح الجليد الأملس... ولما
علم صاحب هذه العربات بوجهتى اشتط فى سعر
الإيجار قائلاً لى:

- ستدفع ضعفين يا صديقى... فأنت هالك ولن ترجع لى زلاجتى.

كنت من قبل أعرف كيفية قيادة الكلاب... فكم استعملت هذه العربة فى مغامرة الصقيع المظلم... الآن أعرف الطريق... المسافة... لدى وسيلة المواصلات... أعرف أن خطراً كبيراً سيلاقينى... مستعد ومعى سيفى وجعبة سهامى وقبل ذلك كله معى ربى وعليه توكلت وإليه المصير.

انطلقت الكلاب تلهث... وهذه طبيعتها، إذا قسوت عليها وأمرتها بالإسراع لهثت وإذا تركتها تسير على هواها تلهث... هذا مثل ضربه الله تعالى للإنسان الذى لا فائدة ترجى منه... فهو إن عاقبته أو جازيته خيراً وأثبتته ظل على ما هو عليه... يلهث. فكم من رجل ظل يبكى

ويرتكب الحرام لأنه فقير فإذا أغناه الله من فضله وأنعم عليه ورحمه لم يتغير وظل على حاله يرتكب الحرام...
 لم تكن البحيرة والبلدة التي أقصدها تبعد كثيراً عن
 مكاني على الشاطئ... عند الظهيرة إن كتب الله لي
 السلامة سأضع رحالي بها... كان الطريق ناعماً زلقاً لا
 تصادف عيناى طوال المشوار إلا أشجار الأرز الباسقة
 وبياض الجليد... لا شيء غير ذلك... كنت سعيداً حقاً
 وأنا أستعيد ذكريات الماضي.

قابلتني غابة من الأشجار أحبت أن أستريح وأريح
 الكلاب وأتمكن من الصلاة ثم أعاود الرحلة.
 توقفت بجانب شجرة على طرف الغابة ثم سويت
 حالي وبدأت أصلي، وبينما أنا خاشع بين يدي الله سمعت
 صوتاً يقترب مني بسرعة مصحوباً بصراخ آدميين.

وفجأة اصطدم شيء قوى بالأشجار عن يسارى
وكنت فى الركعة الأخيرة... شوش على صوت كلاب
وهى تزوم فى ألم وآهات رجل أو رجلين.

سلمت عن يمينى وعن يسارى، ونظرت لأجد
زحافة أخرى مصطدمة بشجرة ورجلين على جانبيها
يتألمان وتدحرجت الكلاب.. أغثت الرجلين
وأسعفتهم... ثم أخبرانى بأنهما فقدتا السيطرة على
الزلافة بسبب إصابة كلب من الكلاب بكسر فى
قدمه... وبينما طلبت منهما السماح لى بأن أكمل
صلاتى كانا يعالجان الزحافة ويتابعان كلابهما.

عندما أصلى أخشع قدر استطاعتى. فأنخلع من
الدنيا وأقبل على ربي الذى أقف بين يديه... فلا
أكاد أشعر بشيء حولى إلا بعبوديتى وفقرى

وانكسارى لله رب العالمين... بعد أن انتهيت من الصلاة نظرت خلفى فإذا بهما قد فارقانى.. لكن مع تصرف نذل خسيس... أخذاً زحافتى وكلابى وأخذاً طعامى وشرابى وما كان معى من مال... بالإضافة إلى ملابسى وأعطيتى، وتركا لى زحافة مكسورة كلابها تئن من الألم وأحدهم ميت. أحمد الله أننى لا أدع سلاحى حتى وأنا أصلى وإلا لفكرا فى قتلى... ولو أنهما كانا يعرفان عن صلاتنا شيئاً لقتلانى فعلاً لما يكون فيه المسلم من خشوع لله .

لم يكن أمامى إلا أن أصلح الزحافة المكسورة قدر الإمكان وأن أتخلص من الكلب الميت وأداوى المصاب... مضت ساعة وأنا أعد حالى لاستكمال

الرحلة... وددت لو تفتنت لهما، ولو أن قلبي دلني على أنهما لصان قبل أن آمن لهما.

انطلقت من جديد فى طريقى إلى البلدة ولا أعلم ماذا سيقابلنى بعد ذلك.. كانت الأرض ترتفع وشق ذلك على الكلاب... لكن لا محيص من التقدم بعض الشيء.. حتى أصبحت فى أعلى مكان، ورأيت الخليج أو البحيرة من بعيد ولمحت البلدة وأدركت أننى قريب منها.

هبطت بسرعة وساعد ذلك كلاب الهسكى التى سحبتنى إلى مزيد من الرشاقة والسرعة فى العدو. أمامى الآن غابة يبدو ألا نهاية لها، مع أن هناك طريقاً واسعاً رحباً يشقها وهو فى الغالب الذى يؤدى إلى البلدة على البحيرة.

كانت الكلاب وكأنها تعرف الطريق وتسرع وتسرع
 عسى أن تلقى الراحة فى البلدة القريبة... مع ذلك بدأت
 أسحب اللجام لأجعلها تتوقف. لاح لى على يسار
 الطريق من بعيد ما يشبه المنزل... منزل خشبي كبير بنى
 على عجل رغم قدم هيئته... سألت نفسى... هل هذا
 بيت قاطع الطريق.. البطريق؟

تقدمت بحذر معتمداً على قوة بصرى التى تمنحنى
 مراقبة من لا يتمكن من مراقبتى.

كان المنزل بعيداً عن الطريق... أمامه فراغ كأن الغابة
 تحتضنه.. انحرفت بكلابى بين الأشجار وأنا أراقب
 صاحبى اللذين سرقانى... كانا مربوطين إلى عامود
 خشبي أمام المنزل... لمحت شيئاً يتحرك فى الشرفة
 الأرضية للمنزل.. إنه هو... مرعب الجليد... رأيت

رجلاً لم أر مثله من قبل حقاً... ضخمة الجثة كأنه عملاق... بشرته بيضاء تميل للحمرة.. ذراعاها قويتان وعاريتان رغم هذا البرد القارس.

كان منظره يثير الفزع وله وجه شرس الملامح... وهو يفتش في متاع الرجلين... لا بد أنه سيكون سعيداً بالاستيلاء على متاعى الذى سرقاه.

فجأة ألقى بالأشياء جانباً فى غضب وحمل سيفاً كبيراً... وتحرك نحو اللصين وعرفت أنه سيقتلهما. لم أشعر بنفسى إلا وأنا أنهر الكلاب لتسرع... المسافة التى بينه وبين الرجلين أقل من التى بينى وبينهما.

أسرعت الكلاب وأنا أصرخ فيها... لا ينبغى له قتلها مع أنهما أذيانى عندما رفع يده التى كالهراوة

بالسيف البتار، فوجئ بى أقتحم ساحته الواسعة ثم
أتوقف وأشد سهمًا فى قوسى وأوجهه نحوه صارخًا فيه:
- إياك... دعهما.

نظر لى باحتقار وصغار.. كان بوسعه أن يمضى
فى قتلهما دون الاعتناء بى... لكنه انصرف عنهما
وتوجه نحوى كجبل متحرك... نزلت عن الزحافة
وبدأت أترجع للخلف ومازلت أصوب سهمى
نحوه... مازالت نظراته تحمل الاحتقار والشفقة
على... لا يعرفنى... لا يعرف أننى قد أقتله بسهم
واحد... شعرت أنه يسرع الخطى... وقد يجرى
نحوى... أطلقت السهم على قبعته فتوقف برأس عار
فى حالة مفاجأة بينما كان السهم الثانى فى القوس
مستعد للعمل.



أبت نفسه المتكبرة الاعتراف بقدرتى الماهرة على
التصويب.. عاد من جديد يتقدم كآلة بشرية ضخمة،
وانقلب الاحتقار من عينيه إلى غضب ورغبة فى
الانتقام... تراجعت فاصطدم ظهري بشجرة... حاول
استغلال الفرصة بأن أسرع نحوى... أطلقت السهم فى
حذائه فرشق وثبت قدمه بالأرض... مر السهم من بين
أصابع قدمه... عاد للغضب، جذب قدمه بقوة وهو يزأر
كالأسد... السهم الثالث مستعد.. أطلقتته فمر من فوق
كتفه لكن من تحت ملابسه... لماذا لا يعترف بقدرتى على
إصابة قلبه أو عينه... لم يعبأ... وهياً له عقله المغرور أنه
قد انتهى إذا استسلم لغلام هو قاهر الرجال وآكلهم. لم
يعد هناك بد... ألقيت بالقوس خلف ظهري وأخرجته
وأخرجت السيف من غمده وقد أراحه هذا كثيراً.

بدأ يبارزنى .. سيفه كبير ثقيل يستعمله لإخافة الناس
لكنه غير ماهر به فى المبارزة... تلاعبت به عدة مرات
وأنا أسمع اللصين اللذين سرقانى يقومان بدور المشجع
ويصرخان حتى أفوز عليه وأهزمه.

أرهقت الضخم وجعلته يلهث وهو لا يهدأ عن رفع
سيفه عاليًا ليهوى به علىّ فلا يجد غير الهواء حيث إننى
أقفز خلفه... أدرك عدة مرات.. أدرك أننى يمكننى قتله
لكنى أرحمه.

ومع ذلك وجدت معاناة فى هذه المبارزة... فهو
أدرى بالأرض التى يلعب عليها منى... وهذا الطقس
يرهقنى... كاد أن يصيبنى بسيفه فانبطحت أرضاً حتى
ابتلعت الثلج ودخل فى عيني.. وأدركت أننى هالك

مغامرات عجيبه جداً

فضربته على ساقه بالسيف وجرحته فسقط تاركا سيفه
يصرخ محاولاً منع الدم من التدفق.

جريت إلى اللصين فحررتهما من قيدهما.. استعدت
كل ما كنت أملكه وظلاً يُعتدَّان لى عما بدر منهما..
استعدت زحافتي وتركتهما يرحلان بينما أكملت
طريقي نحو البلدة فى إرهاق شديد.

لما دخلت البلدة فوجئت بالناس يعرفوننى فلم
أصدق نفسى... ورأيت تمثالاً فى وسط ميدان فسيح
فأصابتنى دهشة ممتزجة بالضحك، وأحاط بى الناس من
كل جهة وحملونى على الأعناق حتى رحب بى عمدة
البلدة ترحيباً مبالغاً فيه، وعلى الفور وضعت لى كل
وسائل الراحة بجانب طعام ساخن شهى كنت فى أشد
الحاجة إليه.

- سيدى... لا أستطيع تحمل كل هذه الحفاوة... كما لا

أستطيع التعبير عن شكرى... لماذا؟

- أرى أنك بحق لا تعرف.. أنك بطل -ونحن نعلم

عنك الكثير، عن شجاعتك وعن مغامراتك السابقة-

... وأن حكايتك مع سيناي ووالده نحكيها لأطفالنا

فى المدارس ويتحدث بطولاتك الجميع فى

الأمسيات... الأبطال فى هذا الزمان يا مؤمن شىء

نادر... لم تكن بلدتنا هذه موجود قبل سنوات.. ولما

هاجر إلينا الناس وأنا أولهم حملنا معنا حكايتك حتى

أصبح طورة... وأهمس فى أذنك.. طبيعة الناس

تفرض م... عفوا... تفرض عليهم التهويل

والمبالغة.. سمعت عن بطولات لم تفعلها فلا

تعجب... بل فى النهاية يُحمل الأمر لصالحك.

- فهمت...

- ألم أقل لك...

- يبدو أننى ما جئت إلى بلدتكم إلا لتحطيم ذلك

التمثال.. أنا لا أحب ذلك يا سيدى ولا يحب الله ذلك

أيضاً... إنما تكريم الناس يكون بدعاء طيب. وكلمة

طيبة... لكن ماذا لو سألتنى الله عما لم أفعله وحاسبنى

على ما قصتم به ظهري من مدح مبالغ فيه؟

- أعذرهم يا مؤمن... فهم يحبونك... كانوا فى شوق

لرؤيتك... وظلوا يلحون على سيناي حتى أعطاهم

أوصافك فبرع الفنان فى تصويرك.

- أتعرف يا سيدى... أتعرف أن الناس قديماً ما عبدوا

الأصنام إلا بسبب تمثال كالذى وضعتموه لى...

حيث عاش بين الناس - قبل أن يبعث الله نوحاً عليه

السلام- عباد صالحون أتقياء. وكانوا يدعون أقوامهم إلى طاعة الله وعبادته، ولما مات هؤلاء الصالحون أراد الشيطان أن يضل قومهم فأوعز إليهم بصنع تماثيل لهم حتى يتذكروهم.. وظلت التماثيل باقية ودار الزمان، فقدسهم الناس ثم عبدوهم من دون الله.

- أعوذ بالله.. أعوذ بالله.. أستغفر الله العظيم.. مؤمن.. نحن في أقصى الأرض ولا يصلنا من العلم إلا القليل.. فالتمس لنا العذري يا ولدي... وسأكسر هذا الصنم.. لكن هكذا لن أكسب إلا كره الناس لي... ماذا لو..

- سأخبرك أنا الذي سيكسر صنمه.

رفضت أن أو أرتاح حتى حملت معولاً وذهبت للميدان فتجمع الناس حولي فقامت فيهم أبين لهم

الحكمة من ذلك... وأن الإنسان الوحيد الذى يستحق التكریم فى هذه الدنيا هو الرسول عليه الصلاة والسلام، ومع ذلك لم يصنع له تمثال... ولم تعبد خصوصياته من بعده... لأنه ما جاء إلا لإرشادنا لعبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأزال كل ما يُعبد من دون الله من الأوثان وحطم الأصنام.

ولما سمع الناس حديث مؤمن زال عنهم الجهل وساعدوه فى تحطيم تمثاله، فلما انتهوا شكرهم على تفهمهم ورغبتهم فى إرضاء الله... وأخبرهم أنه لا يجوز لأحد أن يمدح أحداً إلا أن يقول أحسب أن فلاناً كذا... لأن الله وحده هو الذى يعلم الصالحين من عباده والمفسدين وتقبل الناس الوعظ بصدور منشرة، وعاد

مؤمن إلى بيت عمدتهم سعيداً وأكل وشرب ونام نوماً عميقاً.

فى اليوم التالى بدت لى البلدة مختلفة... فدايماً يكون المكان مختلفاً عن أول مرة تشاهده فيها. وذهبت للبحيرة وبرفقتى عمدة البلدة... وأخبرنى أن الشتاء القارص يجمد سطح البحيرة فقلت له ساعتها تثقبون فى الجليد وتصطادون السمك من الثقوب.. ضحك ودعانى لتناول الغذاء فى البيت... وبعده سألته عن السبب الذى نشأت البلدة من أجله على البحيرة:

- هل جئتم هنا من أجل الصيد فى البحيرة.
- فى الحقيقة يا مؤمن... ليس هو السبب الوحيد... إنما هناك أسباب أهم بكثير.. بلدتنا هذه لها تاريخ قديم... مع أننا لما هاجرنا إليها لم نجد بيتاً ولا قبراً...

بطريق الصدفة عرف شعب هذه البلدة أنهم هم أهلها
الأصليون.. فجاءوا يعيدون ذكرى الأجداد ويعيشون
فى نفس المكان الذى خرج منه آباؤهم من قبل.

- وكيف عرفوا ذلك بالصدفة.

- كلهم يا ولدى ينحدرون من قبيلة واحدة.. أقارب...

ولهم لقب عائلى واحد، مع أن كل منهم يعيش فى
مكان مختلف عن الآخر... حتى عشر صياد على

وثيقة مدفونة فى الثلج كتبت على جلد كاريبو...

وتحكى أن أهل البلدة غرقوا كلهم بسبب ذوبان الجليد

وفىضان البحيرة، وحددت الوثيقة مكان البلدة،

فحمل كل واحد من أهلها متاعه وجاء حتى عمرنا

البلدة من جديد وها هى كما ترى... نعتمد على

الصيد ونعيش.

كنت أُلح في صوته ونظرات عينيه شيئاً يورقه...
 أهنأك شيء يشغل بالك.. أم هي عادتكَ؟
 - سأقول لك كل شيء.. ولولا أنك مؤمن الذي سمعنا
 عنه... لسألتك كيف وصلت إلى بلدتنا بالرغم
 من... من...

- البطريق!!.. أليس كذلك؟

- هل واجهته.

- واجهته وأنقذت رجلين من سيفه وبارزته.

فرح الرجل وقفز من مقعده وهو يسأل سؤالاً لا يرجو

له سوى جواب بعينه:

- أو قتلته يا مؤمن؟

- لا يا سيدي... لم أقتله.

- لماذا؟ ... لماذا يا مؤمن... لماذا بالله عليك.

- قدرت عليه ومن أقدر عليه.. أحلم عليه... أما إذا قدر على وتأكدت من هلاكى فلن أتردد فى أن أرديه متى استطعت.

- أملك عجيب... لابد أنك لا تعرف أن البلدة تعيش فى شقاء بسببه... ولقد عزلنا عن العالم... منع الناس من الخروج أو الدخول إلى البلدة.

- لماذا؟... هذا سؤال محير... إذا كان الطريق يقطع الطريق للسرقة والنهب فلماذا يقتل بهذه الوحشية... ما الداعى لذلك؟

سكت العمدة برهة وهو ينظر للأرض ورفع بعد قليل وجهه ونظر إلى وقد تقطرت جبهته عرقاً فعلمت أن الأمر خطير وانتظرت أن يتكلم:

- هناك... هناك تمثال من الذهب يا مؤمن... أخبرتنا به الوثيقة التي تركها لنا الأجداد.. وهو موضوع فى جذع شجرة من ملايين الأشجار الموجودة فى غابتنا الكبيرة... لكن هذا الخبر بالذات كتب فى الوثيقة على هيئة شفرة لم يتمكن أحد من فهمها إلا أنا... أنا يا مؤمن... ولم أخبر أحداً بهذا الأمر... قيل إن التمثال من الذهب المضغوط... وأن من يعثر عليه يصبح أغنى رجل فى العالم.. آسف لما سأخبرك به يا مؤمن... آسف بشدة.. كنت أنوى أن أعثر عليه وأحتفظ به لنفسى ولم أجد معينا لى فى هذا الطمع وهذه الخيانة لشعبى إلا البطريق، وكان الجزاء أن سرق البطريق الوثيقة منى وهددنى بالقتل إن طالبت به، وبدأ هو ورجاله فى البحث عن تمثال الذهب.

- رجاله... لم أر أن معه أحداً يا سيدى العمدة.
 - لم يدخر واحدا لنفسه... كلهم فى الغابة.. يقطعون
 الأشجار بشراصة من أجل الحصول على التمثال...
 الذى هو إرث الأجداد... ولكل طفل فى بلدنا هذه
 نصيب فيه.

تنهدت ثم سألته:

- سيدى.. ألم تحتفظ بنسخة من الوثيقة التاريخية.
 - للأسف... انتزعها البطريق قبل أن أدون ما فيها.
 انتهت مناقشتنا وأراد أن ينصرف لبعض شؤنه.. فبقيت
 فى البيت أفكر فيما يمكن حمله من أجل حق هؤلاء الناس
 فى الكنز... كما بدأت تتضح لى خيوط هذه المغامرة...
 وبالليل نمت على عهد مع الله أن أنهض فى جوف الليل
 لأصلى.. لذلك يكون نومي خفيفا بعض الشيء.

سمعت والناس نيام صوت (خروشة).. فتحت عيني وأنا أنظر لظل القمر فى الجدار أمامى... رأيت شبح رأس إنسان تطل من النافذة... مددت يدى إلى سيفى الذى أضعه فى هذه الأحوال بينى وبين الجدار... قفز الرجل من النافذة وكنت أستدير له بقوة وأنا ألمح فى اللحظة الأخيرة شبح رجل آخر يتقدم... ضربنى الرجل الأول بسيفه ليشطرنى نصفين عندما تفاديت ضربته ولمست ركبته بسيفى فجرحتها فلم يتمكن من الوقوف فاحتضته بذراعى واستدرت به جهة الثانى الذى كان يطعن بقوة فأصاب طعته زميله فوق قتيلا.. فلما رأى ذلك هم بالقفز من النافذة فلم ألحق به، إلا أننى حززت رسع قدمه بالسيف فلم يتمكن من المشى مع أنه قفز خارج الحجرة.. قفزت خلفه فوجدته على الأرض يتألم

والدم ينزف من ساقه.. وأحدث الأمر جلبة؛ فأقبل حراس بيت العمدة وأيقظوه، وتجمع الكل أمام المجرم المصاب. فحملوه واستجوبناه وعرفنا أنه أحد أفراد البطريق.. نظر لى العمدة وقال:

- إنه ينتقم منك.. وأعتقد أنه لن ينسى ما فعلته به.
 فى اليوم التالى قرر العمدة أن يلحق البطريق درسا،
 وجمع لذلك رجالا لأول مرة فى تاريخ البلدة للحرب
 وتأمين حياة الناس، وأرادنى على رأس هذه القوة...
 فبدأت مع البطريق عدة مناقشات هنا وهناك... وأصبح
 الأمر بين كر وفر... لم نتصر عليه ولم يتصر علينا...
 وكان لى فى المسألة رأى:

- سيدى العمدة... البطريق سيعطل يشغلنا بأمهر رجاله
 بينما الآخرون ينقبون عن تمثال الذهب فى الغابة.



- وما العمل يا مؤمن؟

- نقاتل ليس من أجل تلقينه درساً أو استعادة الوثيقة... بل من أجل أن نستولى على أكبر جزء من الغابة ونسيطر عليه ثم نبدأ فى البحث عن التمثال فقد نجده. حاولنا الاستيلاء على الغابة... دارت بيننا وبين الطريق حروب طاحنة... ولكن بعد مرور أكثر من شهر استطعنا أن نقتطع منه جزءاً كبيراً. كان البحث عن الذهب محموماً... وعرف الناس كلهم بأمره.. فأصبح الأمر أخطر مما سبق.. وما كان يؤلمنى هو التقطيع العشوائى للأشجار.

يقطع الناس الشجرة ثم يبدأون فى التفتيش فيها وهذا ما كان يأخذ الوقت الأكبر... فكيف بك تبشر شجرة بشراً حتى تعثر على بغيتك داخل جذعها

الضخم.. خاصة وأن الكنز قديم ولا بد أن الشجرة التي تخفيه قد أمعنت في ذلك بقشورها وغصونها الكبيرة. وبين الحين والآخر تدور الحرب من جديد، إما أن تقتطع منه جزءاً أو يستولى هو على جزء منا.

الذهب هو المال.. هو في تصور الكثير من الناس السعادة المنشودة وغير منصف من قال عكس ذلك... فقد زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة... من الإنصاف أن نقول إن الذهب.. المال.. ليس وحده السبب في تحقيق السعادة لكنه عنصر مهم وقوى... والمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير... أما أن يسعى الناس إليه متذرعين بكل وسيلة مشروعة أو غير مشروعة فهذا عين الغباء.. لأن

مغامرات محيية جذا

السعى إنما يكون باستخدام الوسائل المشروعة... وأخطأ من قال إن الغاية تبرر الوسيلة. على الإنسان أن تكون غايته هى إرضاء الله تعالى متخذا كل وسيلة لذلك... فانظر أى وسيلة ترضى الله تعالى عنك ثم اتخذها مطمئناً.

وجدت نفسى فى هذه البلدة بين الجليد والبرد وبين حرارة الحرب ونار الصراع وحمى الذهب الملهبة، أشفق على أهلها.. ودخول الشتاء يعنى ندرة الصيد مع الحاجة إلى الطعام والدفع... أمضى الناس أفضل أيام الصيد والادخار فى حرب من أجل الذهب... معهم حق... فالإنسان لا يجب عليه ترك حقه وحق أولاده فريسة فى أيدي الطغاة والظالمين.. بل عليه أن يكافح فى سبيل استعادة حقه.

كل يوم بعد أن تشرق الشمس نخرج إلى الغابة..
 يذهب الحراس الليليون للنوم بينما يستلم النهاريون
 الخدمة.. ويقوم أناس بتقطيع الشجرة ثم يتركونها لغيرهم
 بالمناشير والمطارق يفتشون فيها... بدأ يتسرب إلى قلبي
 شعور قد يكون خاطئاً أن هذه الغابة الهائلة المساحة لا
 تحتوى أى شجرة فيها على تمثال الذهب المزعوم.

جاءنى العمدة وهو يحكم غطاء رأسه بسبب البرد

ونحن فى الغابة قائلاً:

- يبدو أن البطريق قد قنع يا مؤمن بالقطعة التى يبحث
 فيها.

- أتقصد كونه قد توقف عن القتال؟... لا أعتقد ذلك
 يا سيدى.. إنما يفكر بدهاء... يستغل هدنة من أجل
 الإسراع فى البحث... سيدى... أنا أشك فى كل ما

يحدث هنا... وأرى أن تسمح لى بالحصول على الوثيقة.

- الوثيقة مع البطريق.

- أين يمكنه أن يخفيها.

- لا أدري يا مؤمن... بالتأكيد فى بيته.

- خطر لى أن أستعيدها منه بينما هو مشغول هنا بالبحث والحرب.

- وماذا ستجد فيها.

- لا أدري... لكن هذه الأوراق القديمة تحتاج إلى عناية أكبر فى قراءتها.

سمح لى العمدة بهذا العمل... فتركت الغابة وركبت زحافة تجرها الكلاب وقررت الوصول إلى بيت البطريق عن طريق مختلف كى لا أثير الشكوك.

فوجئت وأنا أرقب البيت من بعيد بحارسين يقومان
 بخدمة سيارة حول البيت. تركت الزحافة بعيدا ودنوت
 من البيت.. وحددت المكان الذى يجب الدخول منه...
 كانا يدوران حول البيت، الواحد عكس الآخر..
 يلتقيان مرتين أثناء هذا الدوران... مرة أمام البيت
 ومرة خلفه.. انتظرت المرة التى يلتقيان فيها خلفه ثم
 عدوت إلى نافذة وقفزت منها إلى داخل البيت...
 وحمدت الله أن أحدا لم يشعر بى... لكن شيئا ما لفت
 نظرى وأرقنى... نفس حافة النافذة التى قفزت منها...
 فى نفس الوضع الذى وضعت عليه قدمى... وجدت
 أثر حذاء... كان أحد قبلى فكّر بنفس طريقي.

البيت من الداخل مضاء بشموع من دهن الحيوان...
 كنت أبحث عن حجرة نوم البطريق... الناس عادة

يخفون أشياءهم الثمينه فى أماكن نومهم، لم أفكر فى سبب ذلك من قبل.

ازداد هاجسى لما رأيت آثار أقدام حديثه على البسط... إنها تتجه إلى حجرة النوم حقاً.. أنا أرى الفراش من بعيد... مشيت على أطراف أصابعى بحركة مثيرة ستأتى بالحارسين... فوجئت أن حجرة النوم مقلوبة رأساً على عقب... هناك من فتشها.. دولا ب صغير مفتوح... به صندوق يحوى زجاجة... الزجاجة مكسورة... لا بد أن الوثيقة كانت هنا.. من الذى سرقها من البطريق.. من... مازلت أشعر بأنفاس الذى كان هنا، وأعتقد أنه لم يتمكن من الخروج بعد.. فلأراقب آثار الأقدام.

عدت إلى الردهة وأنا أرى الحارسين يدوران كما هما حول البيت، ثم عن لى العودة إلى حجرة النوم مرة

أخرى... أحسست أن السارق مازال فيها وأن دخولي عليه سيمنعه من إيجاد طريقة للخروج.

نزعت سيفي بهدوء وأنا أتجه مرة أخرى إلى حجرة النوم... نظرت إلى ستارة النافذة المنسدلة إلى الأرض... هناك شيء خلفها يرتعد أو يهتز أو أنه بسبب مرور الهواء داخل الغرفة.. كرش.. هذا فيما أظن كرش أحدهم لم يتمكن من شفته.. سددت نصل السيف إليه بهدوء وأنا أضغط فشقق صراخًا خفيفًا.. رفعت الستارة.. لأجدهما هما.. بعينيهما الرجلن اللذين سرقا متاعى من قبل.. ألقيا بالوثيقة أرضًا ورفعا أيديهما لأعلى، فأشرت لهما بالصمت. كانت نظراتهما ذليلة مختلطة بعرفان وندم ورغبة فى الصفح. التفتت الوثيقة ووضعتها فى حزامى ثم

طلبت منهما فتح النافذة بهدوء... نظرت وتسمعت
 لحركة الحارسين، ثم قفزت منها وهما خلفي، ونجحت
 الخطة، واستعدت الوثيقة، وعندما وصلت للزحافة كانا
 مايزالان خلفي:

- أليس لديكما شيء تفعلاه سوى السرقة؟
- و... وأنت أيضاً... ألم تدخل البيت لتسرقه.
- إنما كي أستعيد منه ما سُرق من أهل البلدة...
- أخبراني... ما أمركما وإلا...
- نحن من تجار التحف.. نطوف حول العالم لنحصل
 على النواذر.
- لتسرقا التحف.. أليس كذلك.. من أخبركما بأمر
 هذه الوثيقة.
- دعنا ننظر إليها وسنقول لك الحقيقة.

المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين... ومن تعود السرقة
وسلب متاع الناس فلا تأمن له أبدا، ولقد أحسست أن
مجرد نظرهما فى الوثيقة سيفقدها قيمتها، فرفضت
فجعل أحدهما يضرب الآخر ويقول:

- ألم أقل لك.. ننظر فيها ثم يلقيها بعد ذلك وأنت
الذى أصررت على أخذها.. أخذا يلحان فلم
أستجب لهما مع شعورى أنهما يخفیان عنى شيئا:
- لماذا لا نتفق؟ لديكما ما تخفيانه عنى.. أليس كذلك..
لماذا ستصبح هذه الوثيقة عديمة الفائدة إذا نظرت
فيها.

- لا.. لن نخبرك بأى شىء..
- تذكر يا أخى أنت وصاحبك.. أنى أنقذتكما من
القتل.. ولم أعاقبكما على ما فعلتماه معى من قبل.

- نحن لم نسرق.. إنما كنا جائعين ولسنا من أهل هذه البلاد.

- لن أريكما الوثيقة ولو بكيكما دمًا.. أنا ذاهب للبلدة.. وسأدعكما هنا للبرد والجوع.

- أرجوك.. أرجوك.

لم أسمع لهما.. بل صحت فى الكلاب وأنا أجذب اللجام فانطلقت ابى وهما يجريان خلفى... نظرت بعد قليل فكانا مازالا يتعاركان.

وفى البيت جلست على فراش أتفحص الوثيقة المحيرة... ثم انطلقت إلى العمدة وأخبرته أن الوثيقة ناقصة... هناك جزء منها مفقود ولن يتم معرفة مكان الكنز الذهبى إلا بالنصف الآخر، وأخبرته بأمر الرجلين.. وتأكد لنا أنهما يستطيعان حل الجزء المتبقى..

فأمر العمدة رجاله بالبحث عنهما وإحضارهما على وجه السرعة.

أما البطريق فلما علم بأمر سرقة الوثيقة من بيته غضب غضباً شديداً وعاقب الحارسين بقتلهما... وجن جنونه في اليوم التالي.

ذهبت للغابة لأصرف الرجال عن تقطيع الشجر وإعادتهم للبلدة حتى نقف على أمر الوثيقة الناقصة... فلمحت على البعد رجال البطريق يفرون من الغابة... ظننت أنه قد عثر على تاجرى التحف وأنه عرف مكان الكنز.. لكن حزنى وظنى لم يدوما طويلا عندما رأيت النار تندلع فى الغابة من بعيد.

الغابة ذات الأشجار المترامية التى تشبه عيدان الثقاب فى صندوق واحد.. اشتعال عود واحد يعنى

التهام النار لبقية الأعواد.. جاء رجل يجرى ويلهث وهو يقول:

- البطريق يحرق الغابة... لقد يأس من العثور على الكنز.. سيحرق كل الغابة ثم يبحث عن التمثال فى الرماد.

ياله من مجنون.. كان الرجال يغادرون الغابة وأنا واقف أنظر بذهول لألسنة النار وهى تستعر وتلتهم الغابة الشاسعة شيئاً فشيئاً.

لا يجب على الإنسان العاقل الواعى أن يذهل عند مشاهدته لحدث دون أن يشغل باله بعواقب هذا الحدث.. تنبهت لنفسى.. وسألتها:

- ما عواقب هذا الحريق.

- نسيت أمر الكنز والوثيقة وأنا أفكر خائفاً فى أمر آخر

أشد خطورة... الحرارة... النار المستعرة.. لا يفصل
 الغابة عن البحيرة إلا جبال من الجليد تحجب البلدة
 عن الغابة تمامًا.. الحرارة الرهيبة ستذيب الجليد..
 وسوف يسيل الماء في البحيرة.. ولن يجد له منفساً
 غير البلدة فتغرق كلها.. النيران تلتهب ملتهمة
 الأشجار في الطرق البعيد من الغابة. يجب أن نفعل
 شيئاً حتى لا يذوب الجليد.. جريت إلى البلدة وأنا
 ألهب الكلاب حتى دخلت على العمدة وكان قلقاً.

- ما العمل يا مؤمن.

- البطريق جن جنونه... إما أن نطفئ النيران قبل أن
 تذيب الثلج أو أن نجلي السكان عن البلدة قبل
 حدوث الكارثة.. وأرى أن الحل الأخير لازم
 للاحتياط في جميع الأحوال. كان رجال البطريق

موزعين على مشارف الغابة لمنع أى أحد من محاولة إخماد النيران ووقف هو على رأسهم كخازن جهنم يسعّرها - أعاذنا الله وإياكم منها.

كان الناس يحملون متاعهم قدر المستطاع ويخرجون من البلدة، وذكرنى هذا بالفسطاط عندما حرقها شاور وأخرج منها أهلها فلم أطق هذه الذكرى.

النيران تستعر بصوت رهيب وحطام الأشجار والشظايا المحترقة تتطاير هنا وهنا والريح تزكى الاستعار... خرجت مع الناس وركبت زحافتى إلى أعلى تل فى المنطقة لأدرس الوضع من منظور أفضل.

فوجئت بأن جبال الجليد بدأت تتحرك وتسير عائمة على السطح الذى أخذ يذوب هو الآخر... الكارثة وشيكة، الفيضان قادم. سيمحو البلدة من على وجه



الأرض. دعوت الله أن يحمى هذه البلدة ويحفظها لسكانها الطيبين.. لاح لى منظر عجيب... أكبر الجبال الجليدية الذى يحجز البلدة عن الغابة أصبح ينشق نصفين بفعل الحرارة التى حولت هذه المنطقة الباردة إلى جحيم. فكرت بسرعة أننا لو حولنا اتجاه السيل بدلاً من أن يصيب البلدة.. يتجه إلى الغابة وهكذا نضرب عصفورين بحجر واحد.

لكن هذا الأمر يحتاج إلى قوة كبيرة وعمل مضن وسباق مع الزمن .

الماء يزداد فى البحيرة... بدأ يغرق مساحات واسعة من الشاطئ. انطلقت حيث كان الناس يفرون.. واستعدت الرجال وأمرتهم بحمل المعاول وأى شىء يحفرون به.

لحسن الحظ أنهم كانوا يشقون بى... فأى واحد فى موضعهم لن يطيب له سوى الفرار... جمعت عددا كبيرا منهم وانطلقنا حتى وقفنا صوب جبل الجليد المنصهر وصحت فيهم.

- هذا الشق فى الجبل لو نجحنا فى توسيعه فسيفيض الماء من البحيرة إلى الغابة.

علينا الوصول إلى الجبل، إما أن ندخل من جهة الغابة المشتعلة وفى ذلك خطر عظيم.. أو أن نسبح فى ماء البحيرة الشديد البرودة.

مازالت القوارب مكانها... استعملناها حتى وصلنا للجبل وتجمع الرجال فى الشق، وأخذوا بقوة تعززها الرغبة فى البقاء بتوسيع الشق.. كانوا يحفرون فى

الجليد ويصنعون منزلقاً نحو الغابة بينما كان الماء يزيد منسوبه فى البحيرة المحاطة بالجلبال الجليدية.. لم يكن النفس الوحيد لهذا الضغط الهائل من الماء سوى إغراق البلدة، وتحول المكان كله إلى بحيرة أو إلى حوض ماء عملاق لا يطيق نفسه من الضغط الشديد.

- احفروا ووسعوا الشق.. واجعلوا اتجاه الميل نحو الغابة قبل أن يجرفنا الماء معه.. أسرعوا.

لاحظ رجال البطريق ما كنا نفعله.. ففطنوا لنا وتجمعوا من بعيد، ورأيتهم ينظمون صفوفهم فى عشرات الرجال.. ثم اتجهوا نحونا مسرعين والنار خلفهم كأنهم الزبانية.. صرخت فى الرجال أن يسرعوا، وعند اللحظة الحاسمة طلبت منهم ترك المكان والإسراع

للقوارب.. كادوا يسألوننى عن السبب فلما أشرت نحو
رجال البطريق.. فطنوا لخطتى.. فأسرعنا إلى القوارب
وأخذنا فريق العودة نحو البلدة بينما الماء يزيد والنار
تسعر الجليد الذى انعكس على صفحته الملساء مشهد
النيران فكأنه هو النار.. وعندما وصل المطاردون إلى
الجبيل لم يكن الماء ليصبر على مقاومة الفرج فى الجبل
فاندفع منه كنهر غاضب... فوجئ البطريق ورجاله
بفيضان رهيب وشلال أغبى من عقله.. حاولوا
التراجع لكن الماء لطمهم وحملهم فألقى بهم فى
الغاب جريح وقتيل.. وانسال الماء يضرب
الأشجار شتلة حتى أغرق الغابة كلها ولم تجد
النيران سبيلا للبقاء فتراجعت من فورها.

وأخذ الناس يتقافزون فرحاً هنا وهناك لما رأوا الماء
ينحسر عن بلدتهم متجهاً نحو الغابة وقد زال الخطر
عنها.

لا أدري متى حُمِلَتْ على الأعناق وهم يطوفون بي
في أرجاء البلدة، فطلبت منهم أن يسجدوا لله شاكرين
على السلامة.

تجمعنا كلنا في مسجد البلدة وصلينا لله شكراً... ثم
خرج البعض إلى الغابة وأحضروا جثث الموتى من
رجال البطريق.. لكن لم يعثروا له على أثر.. وبتنا ليلتنا
على ما نحن فيه من فرح بالنجاة.. نحمل هماً آخر
وهو.. البطريق اللعين.. مع أن معظم رجاله قد هلكوا
في الطوفان.

وفي الصباح بعد أن تناولت الفطور بصحبة عمدة
البلدة...

- سيدى.. من حق البلدة أن تنعم بالأمان.. وأرى أن
القبض على البطريق ومعاقبته مما يوفر للناس الأمن
وراحة البال...

- وأنا معك يا مؤمن...

لم يكن لدى وقت لأشرح للعمدة أمر تاجرى
التحف، ولم تكن هناك فرصة لأتحدث معه عن تمثال
الذهب... جمعت رجالا مسلحين من أهل البلدة
لمطاردة البطريق والقبض عليه.

وكانت وجهتنا الوحيدة هي بيته.. وعندما وصلنا لم
نجد له ولا أحداً من رجاله... ووقفنا حائرين إلى أن رأيت
آثار زحافات تتجه إلى مكان غريب غير الطريق العادى.

- من هنا يا رجال... إلى أين تصل هذه الآثار.

قال رجل وهو مندهش:

- لو ذهب الطريق في هذا الاتجاه فهو هالك.. لأن

هذا الاتجاه لا يصل إلا للهضبة.. وهي مكان

مرتفع يطل على أرض أخرى يستحيل الوصول

لها من هنا.

- لماذا.

- الارتفاع شاهق يا مؤمن... والانحدار قوى... ولو

سقط أحد من فوقها لتحطمت عظامه على

الصخور.. لابد أنه يود الانتظار لأن الهضبة قريبة

من هنا.

- إذاً هيا بنا نستطلع الأمر.

- معك يا مؤمن... ولكن سترك الزحافات ونذهب على الأقدام.. أقول لك إن الانحدار شديد ويمكن أن ننزل بسهولة ونهلك.

كان محققًا فالأرض بدأت تميل بنا لأسفل.. ونحن نسير على جليد ويمكن أن ننزل ولا شيء يمكننا التثبيت به... إلى أين ذهب البطريق.

لما اقتربنا كان المشهد يبعث على الخوف وكان كل واحد منا ممسكا بيد الآخر حتى لا ننزل.. ورأينا البطريق.. نعم رأيناه.. هو ومعه رجلان من أتباعه كما وجدنا معهم تاجرى التحف اللذين بليت بهما فى هذه البلاد.

كانوا يحاولون كسر شجرة وحيدة على حافة الهضبة تمامًا.. توقفنا مكاننا حيث لا يمكن الذهاب نحوهم إلا

زحفا على الظهر.. البطريق مستند للشجرة.. بينما
رجلاه يكسرانها وتاجرا التحف يمسك أحدهما الآخر
خشية الوقوع. ولما أحسوا بنا ضحك البطريق ساخرا
وقال وهو يشير نحوى:

- لماذا توقفت أيها البطل؟.. ألم تأت لأخذ التمثال.

لاحظت أن معه حبالا طويلا يلفه على غصن
الشجرة.. وأدركت أنه قد يستعمله للنزول من الهضبة
إذ الصعود من الوضع الذى يقف فيه صعب وقد يكون
مستحيلا فما بال من معه... خفت وكان خوفي فى
محلّه؛ أن يلقي بتاجرى التحف من الهضبة.

نظرت لرجالى فوجدت الخوف يطل من أعينهم
ولمحت عزماً على عدم المخاطرة.

- اسمعوا.. أبقوا أنتم هنا، سأذهب إليه وحدى.

- لا يا مؤمن.. كن متعلقا.. الوضع خطير هناك.

تركهم فلم يتمكن أحدٌ من الحركة أو منعى وإلا تسبب فى كارثة.. وصرخ البطريق فرحاً وهو ينزع تمثالاً ذهباً لحيوان الكاريبو من الشجرة، وأول شيء فعله أن ألقى برجليه اللذين استخرجتا التمثال من فوق الهضبة.

كيف أنزلق على مؤخرتى وأثبت حركتى قدر الإمكان بقدمى ويدي... لما رآنى جازفت وتحركت نحوه أمسك بالشجرة الملتوية والتى بدت جذورها تصعد من أسفل الانحدار ثم قبض بيده على أحد التاجرين وقال لى مهدداً:

- سألقى به إذا أعقتنى.

تشبثت بالجليد وأثقلت نفسى حتى ثبتُ مكانى مع
علمى أنه سيقتلهما على أى حال، لكن لم أشأ أن أكون
سبباً فى ذلك.

نظرت خلفى للرجال فوجدت عددهم قد نقص فقال
لى أحدهم:

- ذهب بعض الرجال لإحضار جبل.

كان رأياً طيباً على كل حال... أنا جالس مكانى
أقاوم انزلاقاً مهلكاً قد يحدث لى فى أية لحظة، وأرى
البطريق يربط طرف الحبل فى جذع الشجرة، وحدث
أمر أغرب من الخيال... سقط أحد التاجرین وحده دون
أن يرفعه أحد عندما لم يتحمل الارتفاع وأغشى عليه.

نظر لى البطريق نظرة إجرام وشقاء، ووضع التمثال
على الأرض وغرسه فى الثلج حتى يتمكن من ربط
الحبل.. فلما ربطه قلت فى نفسى.. لو ألقى بالتاجر
الثانى فلن أدعه.. وكان ما كان... قبل أن يتناول التمثال
دفع التاجر بيده فهوى وهو يصرخ صراخا مؤلما.

وكان هو يمنعنى عن الحركة، فتركت نفسى أنزلق
بسرعة نحوه... وضعت الشجرة هدفا لى حتى أمسك
بها دون السقوط الرهيب.

فوجئ بى.. لم يظن لحظة أننى سأغامر وأجازف
بحياتى هكذا.. كان يستعد للنزول بالحبل، عندها كنت
أسرع منه حيث احتضنت التمثال بيد وجعلت الشجرة
بين قدمى فاحتضنتها بكلتا يدى.

أمانى هو الشجرة وأمانه هو الحبل.. غضب غضباً
شديداً، كاد أن يسقط على أثره، لكنه تمسك بالحبل حتى
تعلق بيديه فى الشجرة.

حاول بكل قوته أن يتزع منى التمثال أو أن يلقي بى
لأسفل.. إذا تكلمنا عن الصراع الجسدى دون استعمال
سلاح هو أقوى منى.. أقوى منى بمراحل. كنت محتضناً
الشجرة كأنها أُمى ورجلاى فى الهواء.. مد يده للتمثال
حتى يأخذه منى.. نظرت خلفى لأعلى.. حددت المسافة
بسرعة.. وبقوة طوحت التمثال للرجال فالتقفوه قبل أن
ينزل مرة أخرى.

وقف مشدوهاً كأن الأمر أربكه... كل ما فعله أنه
انهار فى لحظة... تركنى ونظر ناحية الرجال وكأنه

يفكر جدياً فى الصعود على المنحدر ليستعيد التمثال، لكن هذا من رابع المستحيالات، لأن الانحدار حاد جداً.. قدر الأمر ببطء، وقد أخذ رجل التمثال وجرى عائداً به إلى البلدة... ونظر إلىّ وأنا مازلت على وضعى لا يفصلنى عن السقوط إلا الشجرة التى أعانقها معانقة ملازمة. أخشى من عدو عاقل لكنى أرعب من عدو غبى غاضب.. سيحملنى ويقذف بى وبنفسه من أعلى.

نظرت لأسفل.. كانت جثتا التاجرين مهشمتين بحجم قشتين من بعد الارتفاع.. قبضت باليد المعاكسة على سيفى عندما رأيت البطريق عازماً على الانتقام، سحبت السيف وهو يلقي بنفسه علىّ... قطعت الحبل

الذى كان ممسكاً بطرفه، كاد يسقط.. لولا أنه ألقى
 بنفسه على.. انكسر الجذع من أعلى.. أنا على وشك
 السقوط.. سأسقط.. أنا أسقط.. لم أجد غير طرف
 الحبل.. تعلقت به وأصبحت فى الهواء.. أما طرف
 الحبل الآخر.. كان فى يدى البطريق... الثقيل الضخم
 معلقاً أيضاً فى الهواء والحبل ملفوف على ما تبقى من
 جذع الشجرة... كانت لحظة مرعبة... أنا فى طرف وهو
 فى الآخر... والمنظر رهيب من أعلى.. لو ترك أحدنا
 الحبل لسقط هو والآخر... حياتى رهن بحياته... وكان
 يعلم ذلك... تخوفت من أن يدرس الأمر بتعقل فى
 هذه اللحظة ويعرف بحكمة.. أنه ميت ميت... حتى لو
 نجا فسيفتك به أهل البلدة... فلماذا لا يذهب وأنا معه؟

ويبدو أنه بدأ يفكر فى ذلك... كان تحتى قليلاً..
ورغم أنه أثقل منى ويجذب الحبل بى إلا أن حافة
الهضبة التى كنت منحسراً تحتها أتألم من الضغط تمنعنى
من أن أسقط.. لكنه لو ترك الحبل فسأسقط ومعى الحبل.
نظر لى مبتسماً... لكنه لو ترك الابتسامة الكريهة
التى يدعى صاحبها الحكمة بينما يكون بعيداً من الموت
قيد أنملة... عرفت أنه سترك الحبل وسيدع الهواء البارد
يداعب جسده قبل لحظات من سقوطه... لاحظت أن
يديه تنزلقان على الحبل بدون مقاومة.. أشعر بالخطر..
أشعر أنه لم يعد بجانبى.. إنه يهوى... ترك الحبل.. لقد
اتخذ القرار الحكيم... هو وبعده أنا... ذهب القوة التى
كانت تربطنى بالهضبة.. قوة الشر فى البطريق.. حقاً..

لولا قوة الشر ما وجدت قوة الخير.. ولولا اللون الأسود
ما عرفنا الأبيض.. ولولا الظلام ما كان النور.. أهوى
بحق.. أسقط والهواء يحملنى والموت أصبح ينادى من
أسفل يا لهوان الحياة.. يا لقرب الساعة... شىء مر من
جانبي... كان أسرع منى... كرة أو شىء.. تنبّهت من
سكراتى... إنه حبل... نعم حبل... بكرة تنفك وهى
تسقط بجانبى.. مررت بيدى اليمنى عليه.. تأكدت أنه
حبل.. فى لحظة واحدة قبضت عليه... فاندفع بى
لليمين ثم اليسار يؤرجحنى ثم يجذبني لأعلى مرة
أخرى... بينما البطريق مازال يسقط... فى اللحظة
الأخيرة كانت ابتسامته البلهاء تتحول إلى غضب، لقد
تم إنقاذى، لكنه غضب لن يدوم طويلاً... شكرت

للرجال معاونتهم.. كانوا يضحكون وقد أنقذوني بحبل
عشروا عليه فى بيت البطريق... من جديد تحط قدمائى
على الأرض.. مازال لى عمر جديد... لكن أن ترى
الموت وتعرف معناه، تعرف أنه لم تكن الحياة لولا
وجود الموت.

تمت بحمد الله تعالى

مغامرات عجيبة جداً

- | | |
|--|---|
| <p>٢٧. جوهرة جوهرة متاهة المخيضة.</p> <p>٢٨. جوهرة السباق المحموم.</p> <p>٢٩. جوهرة الفرقة الالتحارية.</p> <p>٣٠. جوهرة العروق الذهبية.</p> <p>٣١. جوهرة القلب الميت.</p> <p>٣٢. جوهرة النفق الأسود.</p> <p>٣٣. جوهرة الروح الشريرة.</p> <p>٣٤. جوهرة وادي الهلاك.</p> <p>٣٥. جوهرة الثقب الأسود.</p> <p>٣٦. جوهرة حرب الكواكب.</p> <p>٣٧. جوهرة عصر الزواحف.</p> <p>٣٨. جوهرة لعنة الضراعة.</p> <p>٣٩. جوهرة الأخ القائب.</p> <p>٤٠. الأميرة والقراصان.</p> <p>٤١. جوهرة معسكر الخطر.</p> <p>٤٢. جوهرة السفينة الضائعة.</p> <p>٤٣. جوهرة المنايع المجهولة.</p> <p>٤٤. جوهرة العطش القاتل.</p> <p>٤٥. جوهرة التاج المفقود.</p> <p>٤٦. جوهرة السيف الذهبي.</p> <p>٤٧. جوهرة مدينة الأهوال.</p> <p>٤٨. جوهرة المومياء الفارقة.</p> <p>٤٩. جوهرة الفيضان المدمر.</p> <p>٥٠. جوهرة القارة المفقودة.</p> <p>٥١. جوهرة الصقر الكبير.</p> <p>٥٢. جوهرة جبل العسل.</p> | <p>١. جوهرة الكهف المسحور.</p> <p>٢. جوهرة البحر السابع.</p> <p>٣. جوهرة البركان الأحمر.</p> <p>٤. جوهرة مملكة الموتى.</p> <p>٥. جوهرة الأدغال المتوحشة.</p> <p>٦. جوهرة الصقيع المظلم.</p> <p>٧. جوهرة البريق الفامض.</p> <p>٨. جوهرة المدينة المتحجرة.</p> <p>٩. جوهرة ميناء المذبح.</p> <p>١٠. جوهرة الرمال المتهبة.</p> <p>١١. جوهرة معبد الشمس.</p> <p>١٢. جوهرة السحر الأسود.</p> <p>١٣. جوهرة مصاص الدماء.</p> <p>١٤. جوهرة التنين الطائر.</p> <p>١٥. جوهرة سجن المستحيل.</p> <p>١٦. جوهرة الديناصور سام.</p> <p>١٧. جوهرة عقلة الإصبع.</p> <p>١٨. جوهرة المحيط المخيف.</p> <p>١٩. جوهرة القلعة المسكونة.</p> <p>٢٠. جوهرة الزهرة القتالة.</p> <p>٢١. الكنز الأسطوري.</p> <p>٢٢. الأربعين حرامي.</p> <p>٢٣. النقن المتحركة.</p> <p>٢٤. الأرض المقدسة.</p> <p>٢٥. جوهرة لتمساح الرهيب.</p> <p>٢٦. جوهرة الجزيرة المجهولة.</p> |
|--|---|